بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فقد كان من مقتضى الترتيب فى بحث قضايا الأسرة أن أعرض فى الجزء الثانى حقوق الزوجية، فهى الخطوة التالية للزفاف والدخول الذى أنهيت به الجزء الأول.

ولكن عرضت لى نقطة تتصل بالعورة وحكم كشفها والنظر إليها عند الحديث عن خطبة الزوج لزوجته، وستعرض بعد ذلك عند بيان حقوق الزوجية نقط أخرى تتصل بالعرض والشرف وما يجب على الزوجين حيالهما، وكذلك ما يتصل بهما عند قيام المرأة بنشاطها خارج بيتها، فرأيت أن أجمع بين هذه النقط وأضعها كلها فى جزء خاص بها، يفيد منه الباحث فى أى جزء من أجزاء بحث الأسرة، بل فى وضع المرأة فى المجتمع بوجه عام. ملتزما فيه أسلوب البحث الذى التزمته فى الجزء الأول، والذى يجب الرجوع إليه عند قراءة كل جزء من أجزاء هذه الموسوعة.

وقد اخترت لهذا الجزء عنوان «الحجاب بين التشريع والاجتماع» تحدثت فيه عن الحد الشرعى للحجاب الذى يستر العورة، وعن صلته بنشاط المرأة فى المجتمع، وما أثير حوله من شبهات، وأنهيت ذلك بإلقاء بعض الأضواء على النشاط النسوى(١) فى العالم الإسلامى، والمطالب التى تركز عليها اهتمامها فى هذا النشاط، وما قاله العلماء فى هذا الموضوع.

ورتبت هذا الجزء على مقدمة وخمسة أبواب، تحدثت فى المقدمة عن علاقة الرجل بالمرأة، وأهمية الغريزة الجنسية ، وخطر الفتنة على الجنسين، وما وضع من تنظيمات لعلاقة بعضهما ببعض.

وجعلت الباب الأول فصولا تحدثت فيها عن قدم فكرة التنظيم للاتصال بين الجنسين، موردا بعض الصور لهذا التنظيم عند القبائل والمدنيات القديمة

---

(١) النسوى نسبة إلى النسوة، والنسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه، فمفرده امرأة. ولما كانت النسبة هى للمفرد لا للجمع، وليس للنسوة مفرد من لفظه، عومل اسم الجمع معاملة المفرد، فجاءت النسبة إليه: «نسوى» كما يجوز النسب إلى «نساء» لأنه اسم جمع أيضا، فيقال «نسائى».

السابقة على الإسلام، وعن الحجاب فى الأديان السماوية، وما وضعته المدنيات الحديثة من إجراءات حيال هذا الموضوع.

وجعلت الباب الثانى فصولا قدمت لها بنظرة الإسلام إلى الفتنة بين الجنسين، ومعنى الحجاب ومقوماته، ثم تحدثت بعد المقدمة عن تحديد العورة وحكم سترها، وعن مواصفات الساتر الشرعى لها، وحكم النظر إليها وآداب الزيارة وعن الخلوة بين الرجل والمرأة، وحكم المصافحة وما يشبهها، والكلام والسلام وما يشاكلهما من أنواع الاتصال بين الجنسين. ثم تحدثت عن الوقت الذى شرع فيه الحجاب، والأسباب المباشرة لتشريعه، وعن حكمة مشروعيته، وهل هو خاص بنساء النبى ﷺ أو عام لجميع النساء.

وتحدثت فى الباب الثالث عن نشاط المرأة خارج المنزل، مقدما لفصوله بكلمة عن حكمة توزيع الأعمال بين الجنسين، ثم تحدثت عن الترغيب فى استقرار المرأة فى بيتها، وعن الاحتياطات التى شرعها الدين لخروجها، وعن صور من نشاطها الثقافى والدينى والاجتماعى الذى تباشره خارج المنزل.

وجعلت الباب الرابع خاصا بالسفور، تحدثت فى فصوله عن تاريخ الدعوة إليه، وأهم الحاملين للواء هذه الدعوة، وعن أسبابها وآثارها وعن علاج السفور، ورد الشبه الواردة على الحجاب.

أما الباب الخامس فخصصته لحركات التحرر النسوية، قدمت لفصوله بكلمة عن مركز المرأة بالنسبة إلى الرجل، وعن وضعها فى القبائل والبيئات البدائية والمدنيات القديمة السابقة على الإسلام، وعند اليهود والنصارى، وكذلك عند البيئات الحديثة والتشريعات المعاصرة، ثم بينت مركز المرأة فى ظل الإسلام، ومطالبها التى تنادى بها، ورأى العلماء فيها، وأتممت الباب بنظرة خاطفة على النشاط النسوى فى العالم.

ثم ختمت هذا البحث بصور تبين حرص الأولين على الحجاب، وتبين موقف الناس اليوم منه، مع التوجيه الى الطريق السوى الذى خطه الدين لحماية الأعراض، واستقرار الأسر وسلامة المجتمع.

والله هو المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يفيد منه الباحثون والمصلحون وأن يوفق الامة الإسلامية للعمل بما جاء به الدين الحنيف. إنه سميع مجيب.

عطية صقر

المقـــدمة

١ ـ المرأة هى المخلوق البشرى الثانى بعد آدم عليه السلام.

لقد ورد فى خلق حواء من آدم آيات وأحاديث. وإليك خلاصة ما قاله المفسرون والشراح فيها:

قال تعالى فى أول سورة النساء: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ وقال: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٩] وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾ [الروم: ٢١].

● **أولاً: أقوال المفسرين:**

(١) قال الطبرى فى تفسيره «ج١ ص ١٨٢»: عن السُّدِّى... عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ: لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها. ولم يحكم على هذا النقل.

(٢) وقال الفخر الرازى فى تفسير أول النساء: وفى كون حواء مخلوقة من آدم قولان، الأول ـ وهو الذى عليه الأكثرون ـ أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى... واحتجوا بحديث مسلم «أن المرأة خلقت من ضلع أعوج»، الثانى ـ وهو اختيار أبى مسلم الأصفهانى ـ أن المراد من قوله «وخلق منها زوجها» أى من جنسها، وهو كقوله: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ وقوله: ﴿ **بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾... وقال القاضى: والقول الأول أقوى لكى يصح قوله: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة. ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة «من» لابتداء الغاية، فلما كان ابتداء التخليق

والإيجاد وقع بآدم صح أن يقال: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾. وأيضاً لما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادرا أيضاً على خلق حواء من التراب، وإذا كان الأمر كذلك فأى فائدة فى خلقها من ضلع من أضلاع آدم.

(٣) وقال القرطبى فى أول سورة البقرة: قال ابن عباس وابن مسعود: لما أسكن الله آدم (ونقل ما ذكره الطبرى عن السدى) ولم يذكر سندا ولا حكما، ثم أورد حديث مسلم المذكور.

(٤) وابن كثير ذكر خبر ابن عباس المذكور، وهو عن أهل الكتاب.

(٥) وقال رشيد رضا فى تفسير المنار: ليس فى القرآن نص فيها. أى فى خلق حواء لكن فى سفر التكوين.

● **ثانياً: أقوال شراح الحديث:**

(١) قال النووى فى شرح صحيح مسلم « ج١٠ ص ٥٧ »: قوله: « **من ضلع** » فيه دليل لما يقول الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾.

(٢) جاء فى فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر « ج٩ ص٢٠٧ »: أخرج ابن اسحق فى المبتدأ عن ابن عباس أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم، وكذا أخرجه ابن أبى حازم وغيره من حديث مجاهد، وأغرب النووى فعزاه للفقهاء أو بعضهم.

والخلاصة أن خلق حواء ليس فيه دليل قاطع يعتمد عليه فى بيان ما خلقت منه، ومن رجح أنها من ضلع آدم لم يسلم دليله، والمرويات فى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود طريقها أهل الكتاب، وقد نعى رشيد رضا على من يؤولون الآيات والأحاديث حتى تتفق مع مرويات أهل الكتاب، وحديث مسلم فى خلقها من ضلع آدم ليس نصا فى ذلك، لاحتمال أن يكون المراد أن خلقها فيه عوج طبيعى كالضلع، وقد صرح بالتشبيه فى رواية أخرى.

obeikandl.com

هذا، وقد جاء فى سفر التكوين الأصحاح الثانى ٢١ – ٢٤ : فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدا من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا ، ومن العبارات الأدبية فى هذا المعنى: عندما نام آدم خرجت حواء من ضلعه، لتحرمه من النوم بعد ذلك.

بغض النظر عن كيفية خلق حواء من نفس آدم، هل المراد أنها خلقت من المادة التى خلق منها وهى التراب، فلم يخلقها الله من النور مثلا كما خلق الملائكة. ولا من النار كما خلق الجن، بل جعلها من طبيعة آدم ليكون ذلك أدعى للأنس وأتم للانسجام، أو المراد أنها مخلوقة من جسم آدم نفسه، من أحد أضلاعه ولا شك أن الكل يأنس بجزئه أكثر مما يأنس بغيره.

وبغض النظر أيضاً عن كونها خلقت قبل دخول آدم الجنة، أو بعد دخوله، لأنه لم يرد نص صريح ببيانه يحسم اختلاف العلماء فيه – بغض النظر عن كل هذا فان وجود المرأة ضرورى لعمارة الأرض بالوسيلة الأولى وهى التناسل.

ولضمان التعاون بين الجنسين على تحقيق حكمة الله فى جعل آدم خليفة فى الأرض، ربط الله بينهما برباط قوى هو الشهوة الجنسية، التى يشعر فيها كل طرف بأنه لا يستغنى أبدا عن الطرف الآخر.

فالرجل محتاج إلى المرأة احتياج الكل إلى جزئه الذى يعتمد عليه، وكان من قبل متصلا به على نحو من الانحاء قبل تسويته بشرا من الطين، أو بعد تسويته إنسانا أخذ منه جزؤه ليكون زوجا له، والمرأة محتاجة إليه احتياج الجزء إلى الكل ليقوى به ويشتد أزره، واحتياج الغريب الشارد التائه إلى وطنه الذى يحقق له أمنه وسكنه.

ولعل هذا يوضح قوله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة :

١٨٧]، وجاء فى الحكم: إن الله قرن ثلاثة بثلاثة، فلولا الشهوة ما تزوج أحد، ولولا الرياسة ما طلب أحد العلم، ولولا الآمال ما عمرت الدنيا «مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٦».

(٢) الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز:

إن لم تكن أقواها – وضوحا وأثرا فى حياة البشر، وقد حاول بعض الباحثين أن يرد إليها كل الغرائز الأخرى، وهى إذا تركت بغير تنظيم كانت لها أخطارها الجسيمة، التى من أهمها فوضى الأنساب وعدم الاستقرار فى بيئة جماعية. تحقق الراحة والسكن الجسمى والنفسى، ويدبر فيها الإنسان أموره فى أمن وسلام.

وعمارة الكون تحتاج إلى طاقة كبيرة قائمة على تنظيم دقيق وتدبير حكيم. والبشر إن لم تنظمهم علاقات مستقرة عاشوا فرديين لا يأبهون لواجب الجماعة، التى هى العامل الأساسى فى النهوض بتبعات الحياة.

ومن هنا نظم الله علاقة الرجل بالمرأة تنظيما دقيقا كان من مظاهره تكوين الأسر بالزواج الذى تتضح حكمته فيما ذكرنا.. فى الجزء الأول من هذه الموسوعة.

وقد اقتضت حكمة الله أن يظل نشاط الغريزة الجنسية مستمرا حتى بعد تكوين الأسرة بالزواج، فما يزال كل جنس يميل إلى الجنس الآخر، لا يخمد فيه هذا الميل إلا لعلة تتصل بالتركيب العضوى، أو لمانع أدبى قوى كما سبق بيانه فى الجزء الأول عند الحديث عمن انصرفوا عن الزواج.

ويقول الخبراء، كما ذكره ابن القيم فى أعلام الموقعين ج٢ ص ٢٠٦: إن الميل الجنسى عند الرجل أقوى وأدوم منه عند المرأة، وإن كانت هموم الحياة وشواغلها الكثيرة تضعف منه بمقدار ضغطها على حسه وفكره.

وأما ما روى من أن شهوة المرأة تفوق شهوة الرجل فهو خبر لم يصح، وإن صح حمل على الوقت الذى تكون فيه المرأة مشتاقة إلى الرجل عند انطلاق

البويضة واستعدادها للتلقيح، روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة، وابن عدى والخطيب عن عائشة قول النبى ﷺ: «أربع لا يشبعن من أربع، عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم» وهو حديث ضعيف، بل قال بعض العلماء: إنه موضوع(١)، على أن عدم شبعها منه غير مسلم فى كل حال، فإنها قد تنفر منه فى فترات معينة كفترة الإرضاع(٢).

إن المشاهد أن إناث الحيوانات تدافع ذكورها ولا تستجيب إذا لم يكن عندها استعداد للتلقيح، يقول الدكتور «أحمد حماد الحسينى» عن سلوك خنزير غينيا: إن الذكر مستجيب للأنثى الراغبة، كما أن له غددا ملحقة بالغدد التناسلية تفرز إفرازا يتجمد فى داخل الأنثى. وهذا يؤمن حيواناته المنوية من ناحية، ويضع سلوك الأنثى الجنسى عند حد(٣).

وقد جاء مثل هذا الكلام عن البويضة فى المرأة، فان الحيوان المنوى الذى يسبق الآلاف من الحيوانات ويلقح البويضة، يجعلها تفرز مادة تنفر منها بقية الحيوانات، وتعود خائبة على الرغم من تسابقها لتلقيح البويضة.

وإذا كان امتناع أنثى الحيوان عن ذكر بعد التلقيح واضحا. فان المرأة يكون عندها استعداد للاتصال الجنسى بدرجة ما، فى غير فترة التلقيح التى تحددها الدورة الحيضية الشهرية، حتى بعد الحمل تظل مستعدة. والحكمة فى هذا أنها لو نفرت من الرجل نفور الحيوانات الحاملة، لساعد ذلك على محاولة اتصاله بغيرها عن طريق حلال أو حرام. وهذا النفور فى كثير من الأحيان من أسباب اضطراب العلاقة الزوجية، أما فى عالم الحيوان فان الأنثى إذا نفرت من الذكر فانه سيجد غيرها دون حدود موضوعة تمنعه، لأنه لا يختص بأنثى معينة، على الرغم من أن بعض الأنواع الراقية يكون عندها نوع اختصاص فى الحياة الجنسية.

---

(١) انظر تخريج الألبانى لأحاديث الجامع الصغير للسيوطى.

(٢) انظر ص ٥٤ من كتاب «مارى ستوبس» عن «المسألة الجنسية فى حياتك الزوجية» وسيأتى توضيح ذلك فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة، الباب الأول، الفصل الثامن.

(٣) سلوك الحيوان ص ٥٤ للمؤلف. نشر المكتبة الثقافية بوزارة الارشاد رقم ٨٤.

إن الرجل الذى لا يعانى علة عضوية أو نفسية يكون فى كل أوقاته أو غالبها قوى الميل إلى الأنثى، وذلك، كما يقول المختصون، لاستمرار إفراز «هرمون» الذكورة عنده على وتيرة واحدة دون فترات هدوء كما يحدث فى المرأة[1].

ومن هنا نرى أن الرجل فى أغلب أحواله، إن لم يكن فى جميعها، هو الطالب للمرأة والملاحق لها، وأن المرأة على العكس من ذلك فى أغلب أحوالها هى المطلوبة الملاحقة.

وهذا المعنى قد يكون سببا فى حيائها الشديد بالنظر إلى الناحية الجنسية ومع وجود الجنس الآخر بالذات، وعلله بعض الباحثين بشعورها بالنقص الذى يحمل الناقص غالبا على الاستحياء ممن هو أكمل منه، وليس شرطا أن يكون النقص لعامل مادى فى كل أحواله، فقد يكون على أساس أدبى. وقد يشهد لهذا المعنى الطبيعى الواقعى هذا الأثر الذى ذكره الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ١٧ هـ «٦٣٩م»، «الحياء عشرة أجزاء، فتسعة فى النساء، وواحد فى الرجال». ورواه الديلمى مرفوعا إلى النبى ﷺ وهو ضعيف «فيض القدير ج٣ ص ٤٢٩، جمع الجوامع رقم ١٠٥٥٤ وقد جاءت هذه الفقرة ضمن حديث ذكره الطبرى يقول فيه:

قسم الحفظ عشرة أجزاء، فتسعة فى الترك وجزء فى سائر الناس. وقسم البخل عشرة أجزاء، فتسعة فى فارس وجزء فى سائر الناس، وقسم السخاء عشرة أجزاء فتسعة فى السودان وجزء فى سائر الناس، وقسم الحياء عشرة أجزاء، فتسعة فى النساء وجزء فى سائر الناس، وقسم الشبق - الرغبة فى الجماع - عشرة أجزاء، فتسعة فى الهند وجزء فى سائر الناس، وقسم الحسد عشرة أجزاء، فتسعة فى العرب وجزء فى سائر الناس، وقسم الكبر عشرة أجزاء، فتسعة فى الروم وجزء فى سائر الناس.

---

(١) مجلة الدكتور عدد ١٨٥، ١٨٧ ص ٤٣٦، عدد ١٨٨ ص ٥٠٦.

« تنبيه » ذكرت هذا كنوع من الفكرة المأخوذة عن هذه الشعوب، وصدقها أو كذبها تقع تبعته على من ذكروه.

وقل أن تشذ المرأة عن هذا إلا إذا كانت هناك عوامل قوية تساعدها على الخروج عن هذا الحد. فالمغريات كثيرة تبعث الراقد وتنبه الغافل، وتقوى الضعيف، والانسان بشر وليس ملكا. والواقع يشهد أن هناك شواذ من النساء فى هذه الناحية، ومن مأثور التاريخ العربى فى أمثالهم أشبق من حُبَّى » وهى امرأة مدنية كانت مزواجا يسميها النساء « حواء أم البشر » لأنها علمتهن ضروبا من هيئات الجماع، جعلت لكل منها اسما خاصا « أعلام النساء لعمر كحالة »(١).

ولا يغيب عن أذهاننا حادث « زليخا » امرأة عزيز مصر مع « يوسف »، التى يقول القرآن فيها ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ** ﴾ [يوسف: ٢٣]، وعلى الرغم من عدم نجاحها فى هذه المحاولة، وافتضاح أمرها بعد، فإنها مازالت مصرة على استجابته لها مهددة له بكل أنواع التهديد التى تظن أنها سترغمه على الاستجابة ﴿ **قَالَتْ: فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٢].

إن الذى حملها على أن تبدأه بالمراودة أمور كثيرة. فقد كانت فى كامل قوتها الطبيعية وسلطانها الأدبى، وهو شاب وسيم قوى جميل أعزب، وهى ملازمة له وهو ملازم لها، وهى آمنة من الفضيحة لأنها فى ستر كامل عن عيون الناس وأسماعهم « غلقت الأبواب »، وهو لن يجرؤ على إفشاء السر لضعفه فى

---

(١) ويضرب المثل بامرأة كثر زناها فى العرب تسمى « ظلمة » وهى من هديل، زنت أربعين سنة، وقادت أربعين سنة، فلما عجزت عن الزنى والقيادة اتخذت تيسا وعنزا، فكانت تنزى التيس على العنز، فقيل لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: لأسمع أنفاس الجماع بينهما (حياة الحيوان الكبرى للدميرى « اليمام » نقلا عن كتاب: ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار).

غربته ووضعه الاجتماعى ووقوعه تحت سلطانها وسلطان زوجها، كل ذلك مع أملها القوى فى سرعة استجابته لها، فهى جميلة وهو شاب غير متزوج، وهو تحت سلطانها تعتقد أنه لن يعصى أمرها. وقد هيأت له كل المغريات من الزينة وإغلاق الأبواب، ومبادرتها هى بالطلب، واطمئنانها إلى أن الغيرة عند زوجها ضعيفة، وقد تبين ذلك عندما علق على الحادثة بعد علمه بها بقوله له: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا** ﴾ وقوله لها: ﴿ **وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٩].

وكانت النتيجة لمراودتها له مع توفر هذه الدواعى، نتيجة فاشلة ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢٣].

إن الذى منعه من ارتكاب الفاحشة مع توفر الدواعى إليها معنى أدبى، فهو لا يحب أن يخون ربه أى سيده الذى أحسن إقامته، فذلك كفر بالنعمة وظلم لهذا المنعم عليه، وإلى جانب هذا المعنى الأدبى النابع من قرارة نفسه وحسن تأمله، كان هناك معنى دينى منعه من الاستجابة إلى ضغط الحس، وهو الخوف من الله الذى نجاه من البئر وجعل نهايته فى بيت عز ينعم فيه بأرغد عيش، فمن لم يشكر هذه النعمة فهو ظالم بعصيانه لله تعالى، وقد اكتمل عنده السمو الأدبى والدينى، وكان من الممكن أن يتوازى الإحساس الأدبى ولو لحظة، ولا يكون هناك إلا هاجس أو خاطر تدفع إليه الغريزة، لكن الإحساس الدينى كان متيقظا وقويا[١].

● **تنبيـــه:**

قال بعض العلماء إن يوسف هم أن يأتى الفاحشة بدافع من طبيعته البشرية، ولكنه رأى برهان ربه فامتنع. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا**

---

(١) انظر الجواب الكافى لابن القيم فى هذا الموقف وتعداد الدواعى لوقوع الفاحشة ثم عصمة الله ليوسف.

﴿ أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف : ٢٤]. وقالوا كلاما كثيرا فى تفسير البرهان، وأورد السيوطى فى كتابه « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » روايات كثيرة ليست مرفوعة الى النبى ﷺ، بل لابن عباس وغيره، وهى تثبت أنه هم بالسوء وكاد يتمكن من الفاحشة لولا أن رأى برهان ربه، والبرهان قيل: هو جبريل الذى ظهر له فى صورة أبيه يعقوب، صاح به أو ضربه على صدره فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: هو إدراك رؤية الله له عندما قامت هى وغطت صنمها استحياء. وجاء عن كعب القرظى أن البرهان ثلاث آيات من كتاب الله ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠، ١٢]، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١]، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣]. وهذا القول يرجع إلى إدراك رؤية الله، وقيل: رأى مكتوبا على الجدار ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ [الإسراء: ٣٢]. وقيل رأى تمثال الملك فاستحيا منه.

وهذه كلها أقوال لا يسندها دليل صحيح، وهى تتفق على أن الهم بفعل الفاحشة قد حصل منه، ولولا البرهان لوقعت.

وفسر الهم هنا بالعزم على الفعل. والعزم على الفعل يؤاخذ به الانسان. فإن كانت رؤية البرهان قبل الهم لكان يوسف بريئا من المؤاخذة. وإن كانت بعد الهم كان مؤاخذا. وتحدثوا عن عصمة الأنبياء قبل البعثة وغيرها من الصغائر أو الكبائر كلاما كثيرا لا مجال لذكره.

وأراد جماعة أن يبرئوا يوسف من المعصية التى هى « الهم » ففسروه بما يشبه الهاجس والخاطر وما هو حركة للنفس نحو شىء ما لم تصل إلى درجة الهم والعزم. وذلك معفو عنه لأن الناس جميعا معرضون له، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

ولكنى لا أرى داعيا لكل هذه المعركة لتبرئة يوسف من الزنى أو الهم به، فهو برىء براءة الذئب من دمه، ذلك لأنه صرح برفض رغبتها عندما راودته، وعلل ذلك الرفض بما يقويه ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّه** ﴾ ثم بين لها منطق الشكر للمعروف الذى أملى عليه موقفه منها بقوله: ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ كان مجرد مراودتها له مع الجو المهيأ كافيا فى الهم، بل كافيا أيضاً للفعل، لكنه أبى. فهو برىء.

جاء فى تفسير الفخر الرازى أن الذين لهم تعلق بهذا الواقعة سبعة وكلهم قالوا ببراءة يوسف:

(١) يوسف، وقد قال: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾، ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْه** ﴾.

(٢) المرأة، وقد قالت ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ** ﴾، ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِه وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾.

(٣) زوجها، وقد قال: ﴿ **إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾.

(٤) النسوة، وقولهن ﴿ **امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ** ﴾، ﴿ **حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾.

(٥) الشهود، قال تعالى: ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾.

(٦) رب العالمين، وقد قال: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾.

(٧) إبليس، وقد قال: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ وقد أقر الله بأن يوسف من عباده المخلصين، فلم يتسلط عليه.

فمن لم يؤمن بكلام الله فى براءة يوسف فليؤمن بكلام الشيطان، وقد أقر الشيطان بأن يوسف ممنوع منه، فلا مفر من اعتقاد براءته.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ فهو يبين مرحلة تالية للرفض والاعتصام، فزليخا لما عجزت عن نيل غرضها منه بالطريق السلمى، وهو المراودة اللينة المغرية، لجأت إلى العنف وقهره على الاستجابة، فهمت به لتقهره على الفعل، أو همت به تضربه وتعاقبه على كسر كبريائها وعصيان أمرها، فهم هو بها دفاعا عن نفسه أن يقع فى المعصية، أو دفاعا عن نفسه من انتقامها، والمعتدى عليه لا يستسلم للاعتداء بل يقاومه، وكاد لغيرته على شرفه وخوفه من ربه أن يقابل شدتها بشدة توقفها عند حدها، فهو شاب قوى أمام امرأة ضعيفة بدنيا ونفسيا فى هذه الحالة، وكاد أن يقتلها لولا خوفه من الله أن تتطور القضية من فاحشة سرية كان يمكن ألا يعلم بها أحد ولا يدان عليها من قبل السلطات الدنيوية، إلى جريمة قتل لا يمكن سترها وسيكون عقابها شديدا.

وقد وفقه الله لهذين الموقفين، وهما: رفض المراودة وعدم قتل نفس بغير نفس. ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٤].

ولما رأى يوسف أنه فى مأزق حرج لم يجد مخلصا إلا أن يهرب من هذا المكان فجرى بسرعة إلى الباب ليخرج فأسرعت هى أيضاً تمنعه من الخروج إما لإصرارها على نيل غرضها منه، وإما خشية أن يفشى السر. وإما لإيقاع عقابها به، وعند ملاحقتها له جذبته من قميصه وهو هارب منها. فقدته من دبر، أى من خلفه ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ** ﴾ إلى آخر القصة المذكورة بالتفصيل فى سورة يوسف.

وعلى هذا تكون الآيتان منفصلتين، بمعنى أن إحداهما تصور موقفا غير الذى تصوره الأخرى، فالأولى كانت عن المراودة وقد عصم الله منها يوسف، والثانية عن المرحلة التالية للرفض، وقد عصم الله منها يوسف أيضاً ليصرف عنه الجريمتين: السوء والفحشاء.

وبفصل الآيتين عن الموضوع الواحد لا نحتاج إلى التأويلات فى معنى الهم وتفسير البرهان. هذا ويساعد على فصل الهم بالزنى عن رؤية البرهان ما ذكره

محمد بن نظام الدين الأنصارى فى كتابه « مسلم الثبوت » فى باب الأصل الثانى السنة، حيث قال : إنها همت بقتله وهم بقتلها، وبرهان ربه هو طريق الخلاص بإلهام ربه بدون ارتكاب جريمة القتل. وهو الفرار من وجهها.

بعد هذا نعود إلى الحديث عن علاقة الرجل بالمرأة جنسيا. يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لا يخلون رجل بمغيبة. « فإن النساء لحم على وَضَم إلا ما ذُبَّ عنه » والمغيبة (بضم الميم وكسر الغين هى التى غاب عنها زوجها. « كشف الغمة للشعرانى ج٢ ص ٧٣ ».

والوضم هو الخشبة التى يوضع عليها اللحم لتقيه من الأرض، أراد أنهن من الضعف مثل ذلك اللحم الذى لا يمتنع على أحد إلا أن يذب عنه ويدفع. قال الأزهرى : إنما خص اللحم على الوضم وشبه به النساء لأن من عادة العرب إذا نحر بعير لجماعة يقتسمون لحمه أن يقلعوا شجرا، ويوضم بعضه على بعض، ويعضَّى اللحم، أى يجزأ، ويوضع عليه، ثم يلقى لحمه عن عُراقه، أى عظمه، ويقطع على الوضم هَبْرًا للقسم، وتؤجج النار، فإذا سقط جمرها اشتوى من حضر شيئا بعد شيء على ذلك الجمر، لا يمنع منه أحد، فإذا وقعت المقاسم حول كل واحد قسمه عن الوضم الى بيته، ولم يعرض له أحد. فشبه عمر النساء وسهولة الاتصال بهن باللحم مادام على الوضم « نهاية ابن الأثير – مادة : وضم ».

٣ – إن كلا من الجنسين فتنة للآخر، على الرغم من التفاوت فى ذلك، ولا ينجو من خطر هذه الفتنة إلا الحذر اليقظ الذى يعصمه دينه وخلقه. والواقع يؤيد هذه الحقيقة التى هى فى غنى عن الأدلة النقلية، ومما أثر من الأشعار فى ذلك قول كثير عزة فيها :

رهبان مكة والذين رأيتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خروا لعزة ركعا وسجودا[١]

---

(١) المنخل اليشكرى شاعر جاهلى مقل وكان جميلا، ونادم النعمان بن المنذر، واتهم =

وقول جميل بثينة:

لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

وقول مسكين الدارمى:

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى عرضت له بباب المسجد
ردى عليه صلاته وصيامه لا تفتنيه بحق دين محمد

وقول النابغة الذبيانى يصف «المتجردة»[1] امرأة النعمان كطلبه[2]:

لو أنها عرضت لأشمط راهب يخشى الاله صرورةٍ متعبد
لرنا للهجتها وطيب حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد
نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السليم إلى وجوه العوَّد

السليم: المريض[3]

ومن مأثور الحوادث فى فتنة العباد، ماروواه الأصبهانى[4] قال: خاصمت

= بحب «المتجردة» امرأة النعمان (وكان النعمان دميما قصيرا أبرش) وتشبب بهند أخت عمرو الملك وبغيرها، ولذلك قتله عمرو بن هند سنة ٥٩٧م، ومن شعره:

يا هند هل من نائل يا هند للعانى الأسير
وأحبها وتحبسنى ويحب ناقتها بعيرى

«البلاغ الكويتية ١٧ / ٤ / ١٩٧٧».

(١) العقد الفريد ج١ ص ١١٠.

(٢) وذلك أنها مرت فى مجلس فسقط نصيفها - أى برقعها - فسترت وجهها بذراعها وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى، فطلب النعمان من النابغة وصف هذه الحادثة فكان فيما قال:

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مُزَوَّد

إلى أن قال:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

(٣) زهر الآداب للحصرى ج١ ص ١٦ طبعة الحلبى، تحقيق على محمد البجاوى.

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ج١ ص ١٢٧.

امرأة جميلة زوجها إلى الشعبى، فقضى لها، ولما مرت بالمتوكل الليثى[1] وعلم بالحكم قال:

فُتِنَ الشعبى لما رفع الطرف إليها فتنته ببنان
وبخطى حاجبيها فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها
كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها لصبا حتى تراه
ساجداً بين يديها[2]

أما عبد الرحمن بن أبى عماد الجشمى من قراء مكة الملقب بالقس. لكثرة عبادته، فإنه قد شغف حبا بسلاَّمة فغلب عليها اسمه «سلامة القس» كما أنها هى أيضاً شغفت به. وفى خلوة حاولت أن تأخذ منه قبلة فأبى، وقرأ عليها قوله تعالى: ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧] وانصرف عنها وعاد إلى نسكه وقال على الفور:

إن الذى طرقتك بين ركائب ... تمشى بمزهرها وأنت حرام
باتت تعللنا وتحسب أننا ... فى ذاك أيقاظ، ونحن نيام
حتى إذا سطع الضياء لناظر ... فإذا، وذلك بيننا أحلام
قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها ... فاعجب لما تأتى به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما ... سبل الضلالة والهدى أقسام[3]

---

(١) فى العقد الفريد ج١ ص ٧٣ أنها لهذيل الأشجعى، والمرأة هى أم جعفر بنت عيسى ابن جراد.

(٢) أمثال هذه الأخبار التى تروى عن العباد والقضاة والمتصلين بالدين أكثر من غيرهم لا ينبغى أن نصدقها على علاتها، صحيح أن الانسان ليس بمعصوم، ولكن لماذا لا نحسن الظن بهؤلاء الذين يتولون الريادة والقيادة فى الخلق والحكم. ونحمل أمثال هذه الطرف والاخبار على أنها قد تكون صادرة من موتور، حكم القاضى عليه مثلا فلم يرضه الحكم فشنع بمثل ما قيل فى الشعبى هذا، وعلى كل حال فنحن نذكرها لأنها من التراث الأدبى، ولأنها تصورالطبيعة الانسانية بصرف النظر عمن نسبت إليه.

(٣) محاضرات الأدباء ج٢ ص ١٣٤.

ومن طريف ما يحكى لبيان افتنان المرأة بالرجل كافتتانه بها ما رواه الأصفهانى[1] فى كتابه الأغانى عند الحديث عن الدلال المخنث:

أن سليمان بن عبد الملك كان يسمر ليلة. فلما انتهى دعا بوضوئه – أى الماء الذى يتوضأ به – فجاءته الجارية به، وأومأ إليها أن تصب عليه، وأشار مرتين فلم تسمع، أو ثلاثا، فأنكر ذلك منها، ورفع بصره فإذا هى مصغية إلى ناحية العسكر، لتسمع مغنيا يقول:

محجوبة سمعت صوتى فأرقها ... من آخر الليل حتى شفها السهر
تدنى على الخد منها من معصفرة ... والحلى باد على لباتها حصر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها بأعالى الخد منحدر
فى ليلة البدر ما يدرى مضاجعها ... أوجهها ما يرى أم وجهها القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم ... تكاد من رقة للمشى تنفطر

حصر: بارد[2].

فأنصتت له حتى استوعبت الشعر.

وفى الصباح بعث فى معرفة الرجل، ودعا بحجام ليخصيه، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز ليشفع فيه فقال لعمر: اسكت، إن الفرس ليَصْهَل فتستودق الحجر له، وإن الجمل ليُحْضَر فتضع له الناقة، وإن التيس لَيَنبُ فتستَحْرِم له العنز، وإن الحمام ليَهْدِل فتزوف له الحمامة، وان الرجل ليغنى فَتشْبَق له المرأة[3].

---

(١) يقال أن الاصبهانى المتوفى حوالى ٣٥٦هـ «١٤ من ذى الحجة = ٢١ من نوفمبر ٩٦٧» أحب أن يشوه فى كتابه «الأغانى» سمعة امراء بنى أمية على الرغم من صلة نسبه بهم وأخفاه لينجو من اضطهاد العلويين لهم، وكذلك شوه سمعة العباسيين لأنهم أعداؤه، فروى عنهم من مجالس اللهو والغناء شيئا كثيرا فيه افتراء يريد نزع ثقة الناس بهم.
وعلى الرغم من ذلك فان ما جاء فى كتابه، وان كان يصور اتجاهه الشخصى، يعطى صورة، ولو غير محددة، عن الواقع الذى كان يعيشه الناس إذ ذاك، على أن كثيرا من هذه الصور ورد بعضه فى كتب أخرى، وقد جئت بها هنا لا لأجل الاستدلال على قضية تحتاج إلى دليل، ولكن لتوضيح أمر غنى عن الدليل، فوقائع الأحوال أكبر دليل.

(٢) هذه الأبيات مزيج من رواية الأصبهانى، والجاحظ فى كتابه المحاسن والأضداد ج٢ ص ٧٠، ٧١.

(٣) ذكر الأصبهانى فى محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء أن مسلمة بن عبد الملك =

تستودق: تشتهى الفحل. الحجر: أنثى الخيل. يحضر: يعدو، أو يحصر بمعنى يبكى، أو يحصر بمعنى يوضع عليه مثل الرحل ويهيأ للركوب. تضع له الناقة: تسرع وتعدو. ينب مأخوذ من النبيب وهو صوت التيس عند السفاد، أى الاتصال بالعنز. تستحرم: تشتاق للجماع، مأخوذ من الحرمة وهى الغُلْمة واشتهاء الجماع، وهى بالحيوانات أخص يقال: استحرمت الشاة إذا طلبت الفحل[1].

وقال رجل: إياك أن تترك حرمتك تصغى إلى قول ابن أبى ربيعة:

أمن آل نُعْم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فانه يحل السراويلات ويطرب الغانيات[2].

ومن الفكاهات الحديثة المعبرة: أن فتاة تأخرت عن موعد الحضور إلى عملها، فلما سألها الرئيس السبب قالت: تأخرت فى الطريق لأن شابا كان يمشى ورائي، فتعجب الرئيس وقال لها: وهل هذا يؤخرك؟ قالت: نعم لأنه كان يمشى ببطء.

٤ – وفى غمرة افتنان أحد الجنسين بالآخر يستطيع كل أن ينتهز الفرصة، ويملى إرادته. أو ينال من الرغائب ما كان مستعصيا، وقل أن يخيب فى هذه الحالة رجاء، أو يرفض طلب.

ولما كانت فتنة الرجل بالأنثى أقوى استطاعت أن تبتز من البخيل ماله وهو العزيز عليه، وأن تثير الحماس فى نفس الجبان فيلقى حتفه على كره منه، وأن تجعل الوقور الرزين يتصرف كالصبية والحمقى، وأن تفتن العابد فتصرفه عن نسكه، بل تأمره بالقتل فيقتل، وبالخمر فيشرب[3].

= هو الذى ذكر هذه الكلمات لسليمان أخيه «ج١ ص ٤٤١» وذكرها الجاحظ بشكل آخر. فى كتابه «المحاسن والأضداد» ج٢ ص ٧٠، ٧١ وكذلك ذكرها الثعالبى فى اللطائف ص ٨٥.

(١) انظر نهاية ابن الأثير ومختار الصحاح.

(٢) محاضرات الأدباء ج٢ ص ١٢٦.

ومن الأقوال الحكيمة فى تصوير هذه الحالة: أضعف لحظة يكون فيها الرجل عندما تقول له المرأة: ما أعظم قوتك!! أى إذا مدحته معجبة به مال قلبه إليها وضعفت إرادته. ومنها: المرأة تمساح فى بحر من دموع[1].

وفى الجزء الأول فى باب اختيار الزوجين خبر حب خالد بن يزيد بن معاوية «المتوفى سنة ٧٠٤م» لرملة بنت الزبير[2] وما أثر عن الاسكندر المقدونى، وادوارد الثامن ملك انجلترا فى ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً:

(أ) أن زبيدة بنت أبى جعفر المنصور «توفيت سنة ٢١٦هـ» ضغطت على زوجها هارون الرشيد أن يطأ أقبح جارية فى المطبخ، فكان منها المأمون الذى قتل فيما بعد ابنها الأمين.

ويقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن أبيه: دخلت على الرشيد، فلما رأيته قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهن على الرجل غنيته بأبياته التى يقول فيها:

ملك الثلاث الآنسيات عنانى ... وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها ... وأطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطانى

فارتاح وطرب وأجازه.

= ذلك. ويقال: أن حواء هى التى أغرت آدم بالأكل من الشجرة، وجاء فى ذلك حديث موقوف على ابن عباس بسند صحيح (فهو ليس حديثا مرفوعا إلى النبى ﷺ) ذكره ابن حجر فى «المطالب العالية» ج١ ص ٥٩ وأخرجه أحمد بن منيع، ونصه: قال الله تعالى لآدم: يا آدم ما حملك على أن أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها؟ قال: فاعتل آدم.، فقال: يا رب زينته لى حواء. قال: فإنى عاقبتها بألا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، ودميتها فى كل شهر مرتين. قال: فرنت «حاضت» حواء عند ذلك، فقيل لها: عليك الرنة وعلى بناتك. وسيأتى فى الجزء الثالث عن أنس أن حيضها كان بسبب أنها قطعت من الشجرة وأدمتها.

(١) وما أقوى مثل هذه العبارة فى ضعف الرجل أمام المرأة، عندما قال على بن الجهم لجاريته: نجعل مجلسنا الليلة فى القمر، حيث قالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر! فهى تصف نفسها بالحسن الذى يجعلها كالقمر، فيكون على بن الجهم متمتعا بقمرين معا «الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا ص ٢٢٠».

(٢) والخبر والشعر فى وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس ج٢ ص ٢٢٤.

(ب) ذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد « ج٣ ص ١٨٢ » أن يزيد بن عبد الملك لما كلف بحبابة[١] وشغل بها وأضاع الرعية دخل عليه أخوه مسلمة فقال : يا أمير المؤمنين، تركت الظهور للعامة وشهود الجمعة وأحتجبت مع هذه الأمة . فارعوى قليلا وظهر للناس، فأوحت حبابة الى الأحوص أن يقول أبياتا يهون فيها على يزيد ما قال مسلمة، فقال هذه الأبيات وغنتها حبابة :

بكيت الصبا جهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا
ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا ... فقد منع المحزون أن يتجلدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدرما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
هل العيش الا ما تلذ وتشتهى ... وان لام فيه ذو الشنان وفندا[٢]

فلما سمعها ضرب بخيزرانه الأرض وقال : صدقت صدقت، على مسلمة لعنة الله، ثم عاد سيرته الأولى . وزاد فى النجوم الزاهرة أنها شرقت وماتت، فحزن عليها ولم يدفنها ثلاثة أيام ينظر إليها، ثم دفنها خمسة أيام فلم يطق فراقها، فنبشها وأخرجها وأخذ يبكى، فاشتد حزنه حتى مات بعد سبعة عشر يوما سنة ١٠٥هـ.

(جـ) وذكر ابن عبد ربه أيضاً « ج٣ ص ١٤، ١٥ » أن الحجاج بن يوسف الثقفى قدم على الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى . فدخل عليه، وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت إليه زوجته أم البنين[٣] بنت عبد العزيز بن مروان : من هذا الأعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غلالة؟

---

(١) ضبطها بفتح الحاء المبرد فى الكامل والأصفهانى فى الأغانى، وكذلك صاحب النجوم الزاهرة « ج١ ص ٢٥٥ » – والباء مخففة وليست مشددة « انظر مجلة العربى عدد سبتمبر ١٩٧٥ » .

(٢) أسعد، الاسعاد هو مشاركة الغير فى حزنه، والشنان هو البغض، ومعنى فند كذب .

(٣) أم البنين كلمة أطلقت على كثير من النساء للمدح، منهن : آمنة بنت عتيبة الشاعرة الجاهلية، ومنهن أم البنين الكلابية من زوجات الأمام علي « امامة على بين العقل والقرآن لمحمد جواد مغنية ص ٥٦ » . ومنهن فاطمة بنت محمد بن عبد الله، التى بنت جامع عدوة القرويين فى=

فبعث إليها: هذا الحجاج بن يوسف، فأعادت الرسول إليه تقول: والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلى من أن يخلو بك الحجاج. فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه فقال: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك. فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج، فقالت: يا أمير المؤمنين، حاجتي أن تأمره غدا يأتيني مسلما. ففعل ذلك. فأتاها الحجاج فحجبته، فلم يزل قائما. ثم قالت له: أيه يا حجاج. أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الأشعث؟ أما والله لولا أن الله علم أنك من شرار خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين، أول مولود ولد في الإسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن فإن كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ عنك!! وإن كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك. أما والله لقد نفض نساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن، بعثك في أعطية أهل الشام حتى كنت في أضيق من الفرق. قد أظلتك رماحهم، وأثخنك كفاحهم، وحتى كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين إلا بحبهم إياه. ولله در عمران بن حطّان القائل إذ نظر إليك وسنان «غزالة» بين كتفيك.

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى! ... بل كان قلبك في مخالب طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر ... تركت كتائبه كأمس الدابر

ثم قالت: اخرج. فخرج مذموما مدحورا.

(د) جاء في «أسد الغابة» في ترجمة «الأعشى المازني» أنه خرج يمير أهله

= «فاس» بالمغرب، شرعت في حفر أساسه يوم السبت غرة رمضان ٢٤٥هـ، وكان أول خطيب به الشيخ أبو عبدالله محمد بن علي الفاسي، «أعلام النساء لعمر كحالة» وأم البنين بنت عامر بن عمرو، زوج مالك بن جعفر، أنجبت له: ملاعب الأسنة، وطفيل الخيل، وربيع المقترين، ونزال الضيف، ومعود الحكماء.

من « هجر » فهربت امرأته « معاذة » وعاذت برجل يقال له « مطرف بن نهصل » . فلما قدم الأعشى لم يجدها فى بيته، ولما علم بخبرها طلبها من مطرف فأبى، وكان أعز منه، فسار إلى النبى ﷺ شاكيا، وقال :

يا مالك الناس وديان العرب ... إنى لقيت ذربة من الذرب
غدوت أبغيها الطعام فى رجب ... فخلفتنى فى نزاع وهرب
أخلفت العهد ولطت بالذنب ... وهُنَّ شر غالب لمن غلب(١)

فجعل النبى ﷺ يقول « وهى شر غالب لمن غلب » . فكتب إلى مطرف برد أمرأته، فردها بعد أن أخذ منه ضمانا بعدم إيذائها، كما طلبت هى ذلك، فأعطاه العهد، وأنشأ يقول :

لعمرك ما حبى معاذة بالذى ... يغيره الواشى ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزلها ... غواة رجال إذ ينادونها بعدى(٢)

د – إن التسليم بهذه الحقيقة وهى خطورة الفتنة بين الجنسين جعلت الناس يستغلونها على نطاق واسع، وافتتحت مدارس بتخصصات فرعية من أجل هذا الاستغلال، فهناك مدرسة مثلا للابتسامات، تدرس فيها أنواعها بمنهاج صعب، وذلك ليرغب الرجال فى النساء إما للزواج، وإما للتعامل فى التجارات وغيرها . ويقول محمد ثابت فى كتابه « بنات حواء » : هناك مدرسة فى باريس للابتسامات، كما توجد مدارس للرشاقة فى الملبس والمشى والجلوس وتناول الأشياء . .(٣) .

ولو أن هذه الظاهرة أستغلت فى الخير لما كان بها بأس، ولا يقوى على ذلك

---

(١) لطت بالذنب : منعته من الاتصال بها، كما تغطى الناقة فرجها بذنبها امتناعا من الفحل .

(٢) لم أعثر على سند صحيح لهذه الواقعة، وهل اتصل مطرف بمعاذة وهى فى حوزته، أم أنها كانت مستجيرة فقط ؟ ان النبى لم يسأل عن هذا، فهل آثر الستر ولم يرد إثارة الفضيحة؟ هذه تساؤلات تحتاج إلى إجابة على فرض أنها واقعة صحيحة تدخل فيها النبى ﷺ . وذكرها الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان الكبرى » – ذئب .

(٣) فى أهرام ١٥ / ٨ / ١٩٧٤ « أخبار الصباح » : =

إلا العقلاء، ولقد مر فى بحث اختيار الزوجين استغلال بهيسة بنت أوس بن حارثة بن لأم الطائى لحب زوجها لها، وهو الحارث بن عوف المرى، فى الإصلاح بين الفئتين المتقاتلتين فى حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان والحب سلاح ذو حدين، يثمر خيرا ويثمر شرا.

جاء فى زهر الآداب للحصرى « ج٢ ص ٩٥١ طبعة الحلبى » وفى محاضرات الأدباء للأصبهانى « ج٢ ص ٢٣ » أن « بهرام جور » كان له ولد ساقط الهمة ردىء النفس سيىء الخلق، فاغتم لذلك وكان يحاول أن يؤهله للملك من بعده فلم يفلح على الرغم من إحضار مؤدبين له.

وفى يوم قال معلمه لوالده: كنا نرجوه على كل حال فحدث ما أيأسنا منه. لقد عشق بنت المرزبان، فقال: الآن رجوت فلاحه. ثم دعا أبا الجارية وأسر إليه أن ابنه عشق بنته، ويريد أن يزوجه منها، وأمره أن يجعلها تطمع ولده فى ذلك من غير أن يراها، فإذا استحكم طمعه فيها أعلمته أنها لا ترغب فيه لأنه غير متعلم. ثم قال للمعلم: خوفه بى وشجعه على مراسلة الجارية. فلما نفذت الخطة أكب الولد على العلم ليصل الى غرضه منها، وتعلم الشجاعة. ثم قال بهرام للمعلم: مر ولدى يطلب الزواج منها، ففعل وتم الزواج. ثم قال لولده بعد ذلك: لا تزدرين بها، فإنى كنت أمرتها بذلك، وإن من صار سببا لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك، وذكر الأبيات الآتية:

من عاش فى الدنيا بغير حبيب ... فحياته فيها حياة غريب
ما تنظر العينان أحسن منظرا ... من طالب إلفا ومن مطلوب
ما كان فى حور الجنان لآدم ... لو لم تكن حواء من مرغوب
قد كان فى الفردوس يشكو وحدة ... فيها ولم يأنس لغير حبيب

= افتتح فى مقاطعة « هارتل بول » فى انجلترا ناد مهمته إعطاء الرجال والنساء دروسا فى فن التقبيل. النادى محافظ جدا، حيث إنه يعطى دروسه إلى الجنسين كل على حدة. بلغ عدد اللاتى انضممن إليه من النساء فور افتتاحه ٤٠ سيدة وفتاة!!

والإسلام لا يرضى أبدا أن يستغل الافتنان بالمرأة فى اللهو والعبث والفساد، وكل ذلك جاءت به النصوص التى تصادف كثيرا منها فى هذا الكتاب.

وكان أولو الأمر السابقون يقفون موقفا حازما من العابثين اللاهين بالمرأة بأى نوع من أنواع العبث حتى ولو لم يكن انتهاك العرض، ويحضرنى الآن، الى جانب الصور الكثيرة الموجودة فى بحث الأسرة، ما جاء فى «المطالب العالية ج٢ ص ١٢١» أن جعدة «من سليم» كان يأخذ المرأة فيعقلها - أى يقيدها - ثم يأمرها أن تمشى فتعثر فتقع فتنكشف فيتضاحك النساء عليها. ولما أقر بذلك عند عمر ضربه مائة.

٦ - هذا، وقد جاء فى الحديث أن مرور المرأة أمام المصلى يقطع صلاته، وذلك لانشغال قلبه بها، كما يشغل بأشياء أخرى ذكرت فى الحديث نفسه، وسيأتى توضيح ذلك إن شاء الله.

ولما كان الافتتان بالجنسين حقيقة مسلمة، نابعة من طبيعة النفس البشرية، ومعترفا بها من كل العقول وجميع الأديان، كان لابد من وضع تنظيمات تمنع شر هذه الفتنة، وفى الوقت نفسه توجه هذه الطاقة وجهة الخير، وهذه التنظيمات تختلف من بيئة الى بيئة، ومن عصر الى عصر، وكان من ضمن هذه التنظيمات ما يعرف بالحجاب، الذى وضع من أجله هذا الجزء من موسوعة الأسرة.

وفى أهرام ١٧/٣/١٩٩٨ بعنوان مواقف: حوادث من فتنة الرجال بالنساء: حتى الملوك والرهبان.

* * *